

هضمه - العصبية أولو القوة ، وسنرى أن العقاد صنف من الرجال لا يكافئه رجل ، ولن يتكرر قهر كثيرًا من المسلمات فى عالم الأدب ، وأضاف إلى حياتنا الفكرية ما يظل أبد الدهر خالدًا يتحدى ، كان الأديب قبله مهانًا فأصبح بفضل عظيمًا ، وكان ابن الشعب مبعدًا فأصبح بقدرته يطاول الباشوات ويتجاوزهم ، وكان المثقف يخجل وسط الألقاب العلمية والشهادات الرسمية فأصبح بفضل ميزة فوق الشهادات والألقاب ، كان وكان ، وأصبح وأصبح ، مما يضيق المقام عن سرده . ولكن أية قدرة هذه إنها قدرة محسوبة لصاحبها ، لا تتعداه إلا فى الفائدة الكمية والعلمية ، أين القيمة الإنسانية التى يلقبها فى روع القارئ ، التى ما إن تمس نفسًا حتى تحولها إلى مثالها ، مثل الشحنات التى يتمتع بها القديسون والمصلحون والأنبياء ، والتى تغير الشخصية من أساسها . أعرف أن للفوهرر هتلر قدرة فائقة ، شغلت العالم ، وجعلت الناس فى عصره يبهرون بشخصيته ، ويسبحون باسمه وينجذبون إليه ، ولكن كل هذه القدرة القديرة لا تساوى قيد أنمله ، بجوار حرف من كاتب يدفع ويغير ، ويدعو إلى قيمة إنسانية تتعدى ذاته .

* * *

عرفت العقاد أول ما عرفته فى كتاب عبقرية محمد ، فكنت هذا الطالب الصغير الذى يقف مأخوذًا أمام فيض المعلومات والعبارات الغامضة ، إننى أريد أن أقرب إلى نفسه إننى أحس أن هناك ومضات تأتى من بعيد ، وتشير إلى نفس العقاد الصافية وإلى طفولة متوارية ، ولكن ما باله يصدنى عنه ، لماذا لا يجعلنا نتكاشف ونتجاذب أطراف